من وحي كليلة ودمنة

المؤسسة
العربية
للدراسات
والنشر

# أحلام الملك



١٩

اعداد : راجي عنايت

رسوم : بهجت عثمان

المؤسسة
العربية
للدراسات
والنشر

من وَحي كليلة ودمنة



# أحلام الملك

اعداد: راجي عنايت
رسوم: بهجت عثمان
توثيق ألكتروني : أسعد علوان

الطبعـــة الاولى
١٩٧٨

المؤسســة العــربيّــة للدراسَــات والـنشــر
بنــايــة صَـمدي وصـالحــة ـ ص.ب: ١١/٥٤٦٠
بنــايــة بــرج شهــاب ـ تــلة الخياط ـ ص.ب: ١٩٥١١٩
بَــرقيًا: موكيــالي ـ بـيروت

# أحلام الملك



كانَ مَلِكُ الهِندِ يجَلسُ فيِ قَصرِهْ قَريباً من النـافـذةِ الكبيرةِ ، يتطـلعُ الـى حديقتـهِ الجميلـةِ بمـا فيها من طيورٍ مغرّدةٍ ذاتِ ألوانٍ بهيجة .

كـان المـلك يجلس شاعـراً بســعـادة عارمـة . المملـكـةُ كـلُّهـا تدينُ له بالطـاعـةِ والولاءِ . . ومـلوكُ الـدولِ مـن حولـهِ يهابونَـهُ ، ويحترمونَهُ ، ويقدّمـونَ إليـه الهـدايا الثمينـةَ تعبيـراً عن مكـانتـهِ في قلوبهـمْ . ولـديه زوجـةٌ جميلـةٌ مخلصةٌ تحبـهُ ، أنجبـتْ له ابنـاً يُبْدي كلَّ صفاتِ الذكـاءِ والخلــقِ الحميدِ التـي تؤهلُـهُ لتسـلُّـم شؤونِ المملـكـةِ من بعـدهِ . يســاعـدُهُ في ادارةِ مملــكتـهِ وزيـرٌ مخلـصٌ نشيـطٌ ، يشيـرُ عليهِ بكـلِّ نصيحةٍ نافعةٍ ، كمـا يتولى عن المـلكِ أهـمَّ أعمالِ المملكـةِ ، ممـا يتيـحُ للملـكِ فرصـةً كافيـةً


ماشاء

للتأمُّلِ في شؤونِ المملكةِ العليا وفي مصلحةِ شعبهِ الكبير .

بينما كان الملك في جلستِهِ هذه ، دخلَ عليهِ ابنُهُ الشابُّ ، وانحنى يقبلُ يدَهُ . فاحتضنَهُ الملكُ ، وطلبَ منه أن يجلسَ الى جوارِهِ . كان الأميرُ يمسكُ بيدهِ كتاباً يقرأُ فيهِ . سألَهُ الملكُ : « ماذا تقرأُ هذه الأيامَ يا بنيَّ ؟ » ، قال الأميرُ : « أقرأُ كتاباً عن تاريخِ المملكةِ ، يحكي أخبارَ أجدادِنا العظامِ ، وما قاموا بهِ من أعمالٍ مجيدةٍ » .

تنهدَ الملكُ وقالَ : « إنهُ تاريخٌ طويلٌ يا بنيَّ ، زاخرٌ بالحروبِ مع الأعداءِ الطامعينَ في مملكتِنا من حولِنا ، والصراعِ مع المتمردينَ داخلَ مملكتِنا » . سأل الأميرُ : « ولكنّني يا أبي لا أرى اليوم شيئاً من هذا ، لا أرى حولَنا غيرَ الأصدقاءِ ، وأرى الشعْبَ كلَّه يحبكَ ويحترمُكَ » .

ابتسمَ الملكُ وقال : « أصبتَ يا بنيَّ . . لقد كان ذلك كلُّهُ قبْلَ أن تولَدَ . لقد استطاع أبي أن يُنهيَ الحروبَ بيننا وبين من

حـولَنـا من ملـوك . . واستطعـتُ أنـا أن أكتسـبَ صـداقَتَهُـمْ . . أمـا في الـداخـلِ ، فقـد انتهيـتُ قبـلَ ولادتِـكَ من إخمـاد ثورةِ البـراهمـةِ ، وافسـادِ مؤ امـراتِـهِمْ للاسـتيلاءِ علـى الحكـمِ . . ولـم نَعُـدْ نسـمَعُ لهـم صـوتـاً . . » .

سـأل الأميـرُ : « ومـا الـذي يشـغَلُكَ يـا أبـي هـذه السـاعـات الـطـوالَ مَع وزيرِكَ ، وأنـتَ قـد تخلصـتَ من جميـعِ الأخـطـارِ في الـداخـل والخـارجِ ؟ » . قـال المَـلكُ بحمـاسٍ : « يَشْغلُني مع وزيـري أمـرُ شعبـي ، كيـفَ نوفـرُ لـه الحيـاةَالـكـريمـةِ ونحقـقُ لـه العيـشَ الـرغيدَ . . كيـف نضـمـنُ لأبنـاءِ هـذا الشـعـبِ الـطمـأنينـةَ والسـلامَ . . كيـف نتـأكـد من أن العـدلَ يسـودُ أنحـاءَ المملكـةِ . . فـلا يشـعر أيُّ واحدٍ من الشعـبِ ، وهـو يمضـي لينـامَ في نهـايـةِ يومـهِ ، أنـه مظلـومٌ . . هـذا هـو مـا يشـغَلُنـا يـا بنـيَّ . . وهـذا هـو أهـمُّ واجـبٍ للمـلكِ نحـو شعبـهِ » .

بينمـا كـان المـلكُ منشـغـلاً بحـديثـهِ هـذا معَ الأميرِ ، دخلـتْ

الملكـةُ بخطـواتٍ رشيقـةٍ ، وقـد ارتسمـت على فمهـا ابتسامـةٌ تكشـفُ سعـادتَهـا . عنـدما أبصـرَها المـلكُ ! توقَّـفَ عن حـديثـهِ ، وارتسـمـتْ على شفتيـهِ ابتسـامـةٌ عريضـةٌ وهـو يرحـبُ بهـا . نهـضَ الاميـرُ وأوسعَ مكـانـاً لـوالـدتِه التي جلسـتْ الـى جـوارِ المـلكِ ، بينمـا جلـسَ هـو عنـد أقـدامِهمـا .

قـالتْ الملكـةُ : « صباحَ الخيـرِ يـا مـولاي . . وكلَّ عـامٍ وأنتـمْ بخيـر . . » ظهـرتْ الـدهشـةُ علـى وجـهِ الملـكِ بينمـا سـألَ الأميـرُ : « أمـامَنـا عـدَّةُ أسـابيـعَ على مقـدمِ العيـدِ يا أمّـي . . فمـا هـيَ المناسبـةِ التي تُشيـرينَ اليهـا ؟ . » قـالـت الملكـةُ وهـي تنظـرُ إلى المـلكِ : « هـل نسيـتَ يـا مـولاي أنَّ اليـومَ يصـادفُ الـذكـرى الأربعيـنَ لزواجنا ؟ . . » تـذكـر الملـك علـى الفـور ، فمـال علـى زوجتِـهِ يقبِّـلُ رأسهـا ، ونهـضَ الأميـرُ يحتضنُهـا ويقبّلهـا ، ثم يقبّـل أبـاه وهـو يقـول بحمـاس : « اليـومَ ، سـأُنَظِّـمُ لكمـا حفـلاً بهيجـاً في هـذه المنـاسبـةِ السـعيـدةِ . . فيـه رقـصٌ وغنـاءٌ وطعـامٌ وشـرابٌ . . اتـركـا لـي هـذا . . » .

في مساءِ ذلكَ اليومِ ، كان الأميرُ قد انتهى من ترتيباتِهِ كلِّها فذهبَ الى والديهِ يدعوهُما إلى الحفلِ . وعندما دخلا إلى القاعةِ الكبرى في القصر وجداها مزينةً بالورودِ والزهورِ والرياحينِ ، وأبصرا أقفاصَ الطيورِ المغردةِ الجميلةِ معلّقةً في أنحاءِ القاعةِ . وقد رتبَ الأميرُ في صدرِ القاعةِ مجلساً مريحاً ، رُصَّتْ أمامَهُ الموائدُ الحافلةُ بأنواع الطعامِ والشرابِ .

غمرت السعادةُ قلبَ الملكِ والملكةِ ، وسأل الملكُ : « هل سنحتفل بهذا اليومِ بمفردنا يا بنيَّ ؟ . » قال الأميرُ : « نعم يا مولاي . . لم أوجِّه الدعوةَ إلا الى وزيركُمْ المخلصِ ، الذي أرسلتُ أطلبُ منهُ الحضورَ . . » ، وقبل أن ينتهيَ الأميرُ من كلماتِهِ ، كان الوزيرُ يتقدمُ ناحيتَهُمْ بخطوات بطيئةٍ ، ولحيتُهُ البيضاءُ الطويلةُ تهتزُّ مع مشيتهِ ، وهو يقولُ رافعاً ذراعيهِ إلى السماءِ : « أبقى الله الملكَ . . أبقى الله الملكةَ . . وأسعدَهما بأميرِنا العزيزِ . . أملِ المملكةِ كلِّها ! » .



عندما انتهوا من الطعامِ والشرابِ ، سأل الملكُ ابنَهُ معابثاً : « أين يا بني ما وعدتَ به من موسيقى وغناءٍ ورقصٍ . . أم إنك اكتفيتَ بأن تملأ بطوننَا بالطعامِ والشرابِ ؟ . » ضحكَ الأميرُ وهو يقولُ : « حالاً !! . » ثم صفّق بيديهِ صفقةً واحدةً ، توالى بعدها دخولُ العازفينَ والعازفاتِ ، والراقصينَ والراقصاتِ ، وأخذتْ كلٌّ فئةٍ منهم جانباً من القاعةِ الواسعةِ . وبصفقةٍ أخرى من يدي الأمير بدأ عزفُ الموسيقى ، وانطلقتْ الأغاني ، وبعدها قام الراقصونَ والراقصاتُ يتمايلون في تشكيلاتٍ بديعةٍ ، على إيقاع الألحانِ الجميلةِ .

قبل أن ينتهيَ الحفلُ ، ظهرَ الارهاقُ على الملكِ ، فقال : « يبدو أنني قد أكثرتُ من الطعامِ والشرابِ . . لقد أنستني المناسبةُ السعيدةُ ، حِرْصي الذي ألتزمُهُ فيما أتناولُ من طعامٍ أو شرابٍ . . أرجوكم أن تَبقوا في أماكِنِكُمْ وتواصلوا الحفلَ ، بينما أمضي أنا إلى جناحي لاستريحَ بعضَ الشيء » . ظهر الكَدَرُ على وجوهِهِمْ ،

وحاولوا أن يُنْهوا الحفلَ ، لكنَّ الملكَ أصرَّ على قولهِ ، وتركَهُمْ ليَمضَي الى جناحِهِ .

ما إن وصلَ الملكُ الى جناحِهِ ، حتى شعرَ بدوارٍ في رأسهِ ، فرَقَدَ على سريرهِ ، دونَ أن يقوى على تبديلِ ملابسهِ . . وما لبثَ أن راحَ في سباتٍ عميقٍ . نام الملكُ وانتظمتْ أنفاسُهُ ، ولكنهُ عند منتصفِ الليلِ أفاقَ فجأةً فزعاً !!واستمعَ إلى صدى صيحة الألم التي أطلقها من شفتيهِ أثناءَ نومهِ .

جلسَ فوقَ سريره يتنفسُ بصعوبةٍ ، والعرقُ يتصببُ من جبينهِ ، وأخذَ يفكُّ أزرارَ ردائه عندَ الرقبةِ ، وقد أحسَّ بالاختناقِ . . وعندما هدأتْ أنفاسُهُ ، جلسَ يفكرُ في الأحلامِ المفزعةِ التي رآها في نومهِ ، والتي بعثتْ الخوفَ الشديدَ في نفسِهِ .

وتساءَلَ الملكُ في ذاتِ نفسهِ : ما هذه الأسماكُ الشريرةُ ذاتُ العيونِ الدمويةِ الحمراءِ ؟! . وما تلكَ الحَيَّةُ الفضيَّةُ اللامعةُ ،



التي كـانـتْ تسعى على ساقـي ؟! ومـا هـو سـرُّ الجبـلِ الأبيـضِ الـذي كـدتُ أن أسقـطَ من فـوقِ قمّتـهِ الـى الهـوّةِ العميقـةِ ؟!. مـا سـرُّ هـذه الأحـلامِ المفـزعـةِ المخيفـةِ ؟ . . ومـا معناها ؟

صاح الملكُ منـاديـاً خـادَمـهُ الخاصَّ ، الـذي أقبـل مهـرولاً ، وقـد ظهـرَ عليـهِ القـلـقُ . رفـعَ الملـكُ رأسـهُ فوجـدَ الخـادمَ يقـفُ جـامـداً في مكـانــهِ ، انتــظـاراً لمـا قـد يطلبـه مـولاهُ المـلكُ في هـذا الـوقـتِ من الليـلِ . تـردَّدَ بعضَ الشـيء في أن يُفْصِـحَ لـه عمـا بِـهِ ، لكـنَّ ذكـرى ذلـكَ الحلُمِ المفـزعِ ، كـانـتْ أكثـرَ أثـراً في نفسـهِ من هذا التردُّدِ، فطَلبَ من خادمِهِ أن يُسرْع في البحثِ عمن يستطيعُ أن يُفَسِّرَ له الأحـلامَ المرعـبةَ التـي رآهـا في نـومـهِ . تساءلَ الخـادمُ بصـوتٍ خفيضٍ : « الآن يـا مـولايَ ؟ . . » صـاحَ المـلكُ غـاضبـاً : « الآن !! وقبـل أن يطـلُـعَ علينـا النهـارُ ! . فمـا أظنُّني سـأذوقُ النـومَ ، وهذه الأحـلامُ الكريـهةُ يضيـقُ بهـا صـدري » .



قبل أن يُشرق أولُ شعاعٍ للفجرِ ، كان الخادمُ يعودُ إلى جناحِ الملكِ ، ومن خلفِهِ يسيرُ رجلٌ مسنٌّ ضئيلُ الجَسمِ ، يرتدي ثياباً مهلهَلةً ، وقد حلَقَ شعرَ رأسه تماماً ، فظهرتْ جمجمتُهُ رماديةً تميلُ إلى الاخضرارِ .

تشاءَمَ الملكُ من منظرِ الرجلِ ، ونظَرَ إلى خادمِه غاضباً وهو يصيحُ : « ما هذا الذي اتيتَ به ؟! » مال الخادمُ على أُذُنِ الملكِ وهمسَ : « لقد طفتُ أنحاءَ المدينةِ بحثاً عن الرجلِ المناسبِ . . وقد أجمعَ كلٌّ من التقيتُ بهمْ على أنهُ أكثرُ الناسِ قدرةً على تفسيرِ الأحلامِ . . لقد رفضَ أن يتحرَّكَ معي في أولِ الأمر . . ولمْ يستجبْ لي إلاّ عندَما أخبَرتُهُ أن مولايَ الملكَ هو الذي يطلبُهُ » .

أشارَ الملكُ الى مفسِّرِ الأحلامِ أن يقتربَ قليلاً ، ثم صرفَ خادمَهُ بعدَ أن أوصاهُ بألاّ يسمحَ لأحدٍ ، أيّاً كانَ ، بالدخولِ عليهما . بدأ الملكُ يقصُّ على الرجلِ ما شاهدهُ في نومِهِ من أحلامٍ مفزعةٍ ، والرجلُ طوالَ هذا الحديثِ يُطَرقُ صامتاً .

وعندما انتهى الملكُ من حديثهِ ، بقيَ الرجلُ على صمتِهِ ، فسأل الملكُ غاضباً : « لماذا لا تتكلمُ ؟ » رفعَ الرجلُ رأسَهُ ، وقال في صوتٍ خفيض : « ليسمحْ لي مولايَ . . هذه الأحلامُ ليستْ من النوعِ البسيطِ الذي يسهُلُ تفسيرُهُ ، ولكنها تشيرُ إلى أمورٍ خطيرةٍ وجادةٍ . . لا أستطيعُ أن أتعجلَ في تفسيرها ، مع ما لَها من خطورةٍ . . أرجو أن يُمْهِلَني مولايَ الملكُ عدّةَ أيامٍ ، أدرُسُ فيها الأحلامَ ، لأجيء بعد ذلكَ بتفسيرٍ دقيقٍ لها ، لا يحتملُ الخطأَ أو التحريفَ . . » صاحَ الملكُ غاضباً : « ولكنّي أريدُ أن أعرفَ تفسيراً لها . . هنا . . والآنَ ! . . » .

قال الرجلُ ، وجسدُهُ يرتعشُ من فرطِ الانفعالِ : « صدِّقْني يا مولاي . . لا أستطيعُ . . لو كانَ بإمكاني أن أفعلَ هذا لأسرعتُ أخبرُكُمْ حتى لا أتعرضَ لغضبِكُمْ . . أرجوك يا مولاي . . بعد ثلاثةِ أيامٍ بالتمام والكمالِ . . سأكونُ على بابِكُمْ ، لأُقْضِيَ لكمْ بتفسير كاملٍ دقيقٍ لهذه الأحلامِ » .

لـم يجـد المـلكُ بـدّاً من مـوافقـةِ الـرجـلِ على طلبِـهِ ، فانصـرَفَ مفسـرُ الأحـلامِ العجـوزُ متقهقـراً بظهـرِهِ ، منحنيـاً باحتـرامٍ ، حتـى اختفـى عن نظـر المـلـكِ . قـام المـلكُ مـن مكـانِـهِ يتجـوَّلُ في جناحِـهِ ، وقـد طـارَ النـومُ من عينيـهِ . راح يتطـلعُ الى شعـاعِ الفجـر يبـدِّدُ الظلمـةَ خـارجَ القصـر ، وشـعـرَ أنَّ عينـهُ لـن تعـرِفَ النـومَ بعـد الـذي جـرى لـه . . وضـاقَ صـدرُهُ وهـو يتصـورُ مـا سيعـانيـهِ من مـرارةِ الانتـظـارِ ، طـوالَ الأيـامِ الثـلاثـةِ المقبـلةِ .

طـوالَ هـذه الأيـامِ الثـلاثـةِ ، كـانـتْ أحـوالُ المـلـكِ بـاعثـةً على القلـقِ في نفـوسِ مَنْ حـولَـهُ . لـم يكـنْ يـرغـبُ في أن يقـابِـلَ أحـداً من أهلِـهِ أو من رجـالِ مملــكتِـهِ . وكـانـتْ المـلــكـةُ أشـدَّ الجميـعِ قلقـاً وخـوفـاً ، تـريـدُ أن تعـرفَ سببـاً لمـا أصـابَ زوجَهـا المـلـكَ ، ولكـن دونَ جـدوى .



ما إن انصرَفَ مفسرُّ الأحلامِ من قصرِ الملكِ ، حتى مضى مباشرةً إلى خارجِ المدينةِ . ومع شروقِ الشمسِ ، كانَ قدْ وصلَ إلى مدخلِ كهفٍ في جبلٍ من الجبالِ التي تقعُ عندَ أطرافِ المدينةِ البعيدةِ . تحسَّسَ الرجلُ طريقَه في ظلام الكهفِ ، حتى وصلَ الى ممرٍّ طويلٍ ، قادهُ الى مكانٍ متسعٍ داخلَ الجبلِ تضيئُهُ المشاعِلُ الضخمةُ المعلقةُ على حوائطِهِ . في صدرِ ذلكَ المكانِ المتسعِ ، كان يجلسُ جماعةٌ من كهنةِ البراهِمَةِ ، يتطلعونَ بصمتٍ الى الرجلِ الذي تقدَّم يَقبّلُ أيديهمْ واحدا بعد الآخر . . لقد كان مفسّرُ الأحلامِ من البراهمةِ الذينَ يتنكرونَ ، ويعيشونَ بينَ الناسِ دونَ أن يكشفوا عن حقيقتِهِمْ ! .

حكى لهمُ الرجلُ ما جرى بينَهُ وبينَ الملك ، ففرحوا بهذا فرحاً كبيراً ، وقال زعيمُهُمْ : « هذه فرصةُ عمرنا أيُّها الأصحابُ ! . . » ، ثم نظر الى الرجلِ القادمِ حديثا وقالَ له : « يجب أن نستغلَّ هذه المناسبةَ للانتقام من هذا الملكِ الذي



حَرَمَنا من مُلْكِنا القديمِ ، ومنعنا من الاستيلاءِ على جانب من هذه المملكةِ الواسعةِ . . يجبُ أن تُعْطِيَ تفسيراً لأحلامِهِ ، يهدمُ مملكتَهُ ويُضْعِفُ قوَّتَهُ الحربيةَ ، ويحرمُهُ من أعزِّ الناسِ عندَهُ . . حتى يصبحَ ضعيفاً وحيداً يسهُلُ القضاءُ عليه » .

بعدَ ذلكَ ، جلسَ الجميعُ وقد تقاربتْ رؤوسُهُمْ ، يلقّنونَ الرجلَ ما يجبُ عليهِ أن يقولَهُ تفسيراً للأحلامِ التي رواها له الملكُ



انقضت الأيامُ الثلاثةُ ، وعادَ الرجلُ الى قصرِ الملكِ ، يطلبُ الإذنَ بالمثولِ بين يديهِ . لم يصدِّقْ الحرّاسُ أن الملكَ يقْبَلُ أن يلتقيَ بمثلِ هذا الرجلِ ، فقادوهُ الى رئيسِ الحرسِ ، الذي قادَهُ بدورِهِ الى الوزيرِ .

سألهُ الوزيرُ عن سرّ طلبهِ ، وعمّا يسعى إليه من مقابلةِ الملكِ . رفضَ الرجلُ الكلامَ في أولِ الأمرِ ، ولكن نتيجةً لإلحاحِ الوزير ، قالَ أخيراً بثبات وقوّة : « إن مولايَ الملكَ هو الذي يريدُ لقائي !! . » تعَجَّبَ الوزيرُ من كلماتِ الرجلِ ، وكاد أن يطردَهُ من القصر ، لكنَّهُ عاد وأرسلَ من يُخْبِرُ الملكَ بموضوعِ هذا الرجلِ الغريبِ . وكانتْ دهشةُ الوزيرِ شديدةً عندَما أجابَ الملكُ بضرورةِ سرعةِ إدخالِ الرجلِ عليهِ ! .

سارَ الوزيرُ والرجلُ من خلفِهِ إلى جناحِ الملكِ . تضاعفتْ دهشةُ الوزيرِ عندما رأى الملكُ ينهضَ متلهفاً للقاءِ الرجلِ ، يتعجلُ سماعَ قولهِ . لكنَّ الرجلَ امتنعَ عن الكلامِ ، وهو ينظرُ بحذرٍ الى الوزير ، ففهم الملكُ أنّهُ لا يريدُ أن يتكلّمَ في حضورِ الوزيرِ . على الفورِ ، طلبَ الملكُ من وزيرهِ أن ينصرفَ ، ويتركَهُ منفرداً مع الرجلِ . هنا بلغتْ دهشةُ الوزير أقصاها ! ، ولكنّه إزاءَ إصرارِ الملكِ وتصميمِهِ لم يَجِدْ بُدّاً من الانصرافِ بصمتٍ .

خـرجَ الـوزيـرُ من عنـدِ الملـكِ يشـعـرُ بحـالـةٍ من الانقبـاضِ الشـديـدِ ، فهـذه هـي المـرّةُ الأولـى التي يُخفـي فيهـا الملـكُ عنـه أمـراً من أمـورِهِ . وأحـسَّ الـوزيـرُ بريبـةٍ شـديـدةٍ نحـو الـرجـلِ الغـريـبِ ، فتـوجَّـهَ الى مقـرِّ عملِـهِ ، وطلـبَ من رجالِهِ أن يتبعـوا ذلـكَ الـرجـلَ عنـدَ خروجـهِ من جنـاحِ الملـكِ ، ويأتـوا إليـهِ بكـلِّ المعلـومـاتِ الممـكنـةِ عنـه .

في ذلـك الـوقتِ كـان الـرجـلُ يقـفُ أمـامَ الملـكِ ، وهـو يقـولُ لـه : « قبـلَ أن أنقلَ إلى مـولاي تفسيـرَ أحـلامِـهِ التي رآهـا في نـومـهِ . . أريـدُ منـكـمْ أن تعطـونـي الأمـانَ . . فلا يصيبَني أيُّ ضـررٍ من جـراءِ تفسيـري لأحـلامِـكُـمْ ، ومهمـا جـرى بعـد ذلـك نتيجـةً لتفسيـر هـذه الأحـلامِ ! . » . تسـلـلَ القلـقُ إلـى نفسِ الملـكِ من جرّاءِ هـذا القـولِ ، لكنّـهُ أسـرعَ يقـولُ للـرجـلِ : « لـك الأمـانُ الـذي تطلُبُـه أيّهـا الـرجـلُ . . ولكـن تكـلّمْ ! أسـرعْ وقـلْ لـي تفسيـرَ هـذه الأحـلامِ التي حـرمَتنـي النـومَ طـوالَ تلـكَ الأيـامِ القليلـةِ المـاضيـةِ ! . . » .



قالَ الرجلُ ، وهو يراقبُ الملكَ من طرفِ عينهِ ، ليرى وقعَ كلامِهِ عليهِ « أمّا السمكتانِ الحمراوانِ اللتانِ رأيتَهُما قائمتين على أذنَيْها ، بعيونٍ حمراءَ تلتهبُ بالغضبِ ، فهما تمثلانِ خطراً يتهدَّدُ ملكَكَ وحياتَكَ مصدرُهُ أقربُ الناسِ إليكَ !! » ، ثُمَّ صمتَ الرجلُ يلتقطُ أنفاسَهُ ويستمتعُ بالقلقِ الذي تضاعفَ قدرُهُ في نفسِ الملكِ . صاحَ الملكُ : « أفصِحْ يا رجل ، . من هُمْ مصدرُ ذلكَ الخطر ؟ . . » . قال الرجلُ بكلماتٍ قويةٍ ثابتة : « زوجتُكَ . . وابنُكَ الأميرُ ! . . » .

سقط الملكُ جالساً على مقعدِهِ مِنْ فرطِ التأثُّر ، ووضعَ رأسَهُ بين يديهِ . مرّت فترةٌ مِنَ الصمتِ ، بعدَها رفعَ الملكُ رأسَهُ وقدْ ظهرتْ الدموعُ في عينيهِ ، وسألَ الرجلَ بصوتٍ خافتٍ أقربَ الى الهمس : « هل أنتَ متأكدٌ مما تقولُ ؟ . أتدركُ مدى خطورةِ كلماتِكَ ؟ . » قال الرجلُ بثباتٍ : « لهذا طلبتُ مهلةَ الأيامِ الثلاثةِ يا مولايَ ! . . لقد عرفتُ خطورةَ تفسيرِ هذِهِ الأحلام

ساعة سَمعتُها منكُمْ . . لكنّي امتنعتُ عن قولِ شيءٍ عن تفسيراتِها الخطيرةِ ، حتى أعودَ إلى كتبي وأوراقي ، لأتأكدَ منها . . » .

قال الملكُ مستسلماً في يأس : « والحيّةُ التي كانتْ تسعى على ساقي ؟ . . » . قال الرجل : « إنه وزيرُكَ الذي يسعى إلى إقصائِكَ عنِ الملكِ ، متآمراً مع زوجتِكَ وولدِكَ ! . . إنه يريدُ أن يضَعَ ابنَكَ على العرشِ ، حتى يتمكنَ من أن يَحْكُمَ هُوَ من خلالِهِ » .

كان الملكُ قد وصلَ إلى أقصى حالاتِ حزنهِ واضطرابِه ، فخرجَ صوتُهُ من بينِ شفتيهِ مرتعشاً متقطّعاً : « و . . و . . ذلك الجبلُ الأبيضُ . . الذي كدتُ أسقطُ من فوقِهِ ؟ . . » ، قال الرجلُ : « إنَّه فيلُكَ الابيضُ الذي تخرُجُ به إلى حربِ أعدائِكَ . . سيفقدُ عقلَهُ ، ويقفزُ بكَ في نوبةٍ من نوباتِ جنونِهِ ، وسوفَ تسقُطُ من فوقِ ظهرِهِ ، أثناءَ ركوبِكَ عليهِ ! . » .

انْهـارَ المـلكُ ، وارتعـشَ صـوتُـهُ ، وهـوَ يسـألُ الـرجـلَ في حَيـرةٍ : « ومـاذا أفعـلُ الآنَ ؟ . . كيـفَ أتّقـي هـذه الشـرورَ التي تحيـطُ بـي ؟ بمـن أحتمـي من أقـربِ النـاسِ إلى قلبـي ؟ . . » ، قـال الـرجـل بشجاعـةٍ : « تقـتلُ الأربعـةَ في أولِ فرصـةٍ تتـاحُ لـك ! . وقبـل أن يحلَّ بـكَ خطـرُهُـمْ . . وتنجـحَ مكيدتُهم . . » . .

بهُتَ المـلكُ من فظـاعـةِ ما نطـقَ بـه الـرجـلُ العجـوزُ ، فصـاحَ فيـه : « ابتـعدْ عن وجهـي أيـهـا الـرجـلُ المشـؤومُ ! . . ابتعـدْ قبـلَ أن أَحْنَثَ بوعـدي ، وأسحـبَ منكَ كلمـةَ الأمـانِ التـي أعطيتُهـا لـكَ . . فـأقتلَـكَ الآن بسيفـي ! هنـا في جنـاحـي ! . . » ، فـأسـرَع الـرجـلُ ينصـرفُ وقـد رسـمَ على وجهـهِ تعبيـراً حزينـاً . . لكنَّـهُ مـا إنْ خـرج من جنـاحِ المـلكِ ، حتـى ارتسمـتْ على وجهـهِ تعبيـراتُ الفـرحـةِ بنجاحِ مهمتـهِ . . وأسـرعَ يغـادُر القصـرَ مسـروراً ، متجهـاً إلـى كهنـةِ البـراهمـةِ ، حتـى ينقلَ إليهـمْ نجـاحَ مكيدتِهِم . كانتْ فرحـتُهُ أكبـرَ من أن تجعلَـهُ ينتبـهُ إلى أتبـاعِ الـوزيـرِ الـذيـنَ كـانوا يتعقبـونَـهُ عن بعـدٍ ، ليكشفـوا سـرَّهُ .

اختلى الوزير بالملكةِ وقال لها هامساً : « لا بد من تدخُّلِكِ يا مولاتي !.. أشعرُ بخطرٍ شديدٍ يتهددُ الملكَ ، منذ أن اختلى بذلك الرجلِ .. إنَّهُ لا يريدُ أن يتكلمَ معي عمّا بهِ ، لكنني واثقٌ أنكِ قادرةٌ على الوصولِ إلى السرِّ الذي يكادُ أن يقضي على حياتهِ». فكّرَتْ الملكةُ قليلاً ثم سألته : « أي رَجُلٍ هذا الذي تحكي عنهُ .. » . قل الوزيرُ : « رجلٌ عجوزٌ غريبٌ عن القصر ، التقى بالملكِ ، فأرسلتُ مِن يقتفي أثَرهُ .. قالوا إنهُمْ يشكّونَ في أنه من البراهمةِ الذينَ انتهى الملكُ من تأديبهِمْ .. وأخشى أن يكونَ هذا الرجلُ مشتركاً في مكيدةٍ يدبِّرُها البراهمةُ ضد الملكِ للانتقام منه » .

دخلتْ الملكةُ على الملكِ في جناحِهِ الذي أصبح لا يغادِرُهُ ، فرأتْهُ ينظرُ إليها في فزعٍ وخوفٍ . انقبضَ قلبُها ، وأحسَّت بالدموع تسيلُ من عينيها حزناً على الملكِ وعلى نفسِها .. هل بلغَ الأمرُ أن أصبحَ يَشُكُّ فيها ويخشاها ؟!!.

انتصرت طيبةُ قلبِ الملكِ على مخاوفِهِ ، فأسرعَ يحتضنُ زوجَتَهُ الملكةَ ، ويربِتُ على كتِفها في حنانٍ ، وراحَ يسألها : « ما الذي بعثَ بالدموع إلى عينيكِ أيتُها الزوجةُ الحبيبةُ ؟ . . » .

قالتْ الملكةُ : « حالتُكَ يا مولايَ . . هذه هي المرّةُ الأولى التي تخفي فيا سراً عنّي . . كيف لا أبكي وأنا أراكَ تتعذّبُ دون أن أعرفَ سرّ عذابكَ ، أو أستطيعَ أن أُخفِّفَ عنكَ بعضَ هذا العذابِ . . أنتَ تَعرفُ يا مولاي اخلاصي لكَ ، واستعدادي للتضحيةِ بحياتي في سبيلكَ وفي سبيل سعادتِكَ . . » .

تأثرَ الملكُ بكلماتِ الملكةِ ، وبدأ يستريح لأقوالِها ويطمئنُّ لحديثِها . وراحت هي تدفَعُهُ الى الكشفِ عن سرهِ بكّل رقّةٍ وحرصٍ حتى قال لها منفجراً في آخر الأمر : « ماذا أقولُ لكِ ؟ . . هل أقولُ لكِ إن خلاصي وأمني سيكونان بالقضاءِ على أعزِّ الناسِ على قلبي ؟! ، بقتلِكِ وقتلِ ابني الحبيبِ ، وقتل وزيري ! بل وأيضاً قتلِ فيلي الأبيضِ الذي أخَرُجُ بهِ الى الحربِ ! . . » .

صُعِقَت الملكةُ عندما سمعتْ قولَ الملكِ ، لكنها استطاعتْ أن تخفي فزعَها بمهارةٍ ومقدَرةٍ ، ثم رسمتْ ابتسامةً على شفتيها ، وهي تقولُ له : « نحن كلُّنا على الاستعداد للموتِ دون تردُّدٍ ، إذا كان في هذا خلاصُكَ وأمنُكَ » ، فقال الملكُ باكياً : « ولكن ما معنى حياتي كلّها اذا أنا فقدتُ أحبَّ الناسِ إلى قلبي ؟ . هل ستكونُ حياتي جديرةً بأن تُعاشَ ؟ . » ، وأطرقَ لحظةً ثم قال : « لا ! . . لا أستطيع ذلكَ . . سأقتل نفسي أولاً قبل أن أُقدِمَ على هذا العملِ المُشين

قالت الزوجة بعد تفكير عميق : « ولماذا لا تلجأُ يا مولايَ الى حكيمِ المملكةِ ، الذي كنتَ تلجأُ اليه في كلّ ما يستعصي عليك من أمرٍ ؟ لماذا تصدّقُ كلامَ ذلكَ الرجلِ الغريبِ ؟ . الذي قد يكونُ برهمياً من أعدائك . . يريدُ أن ينتهزَ هذه الفرصةَ ليُفْسِدَ عليكَ حياتَكَ كلَّها ، انتقاماً لما فعلتَهُ من قبلُ بالبراهمةِ » .

التفتَ الملكُ الى زوجتِه الملكةِ ، وقد ظهرَ عليه الاهتمامُ الشديدُ ، وسألها : « ومن أين عرفتِ أن ذلكَ الرجلَ من البراهمةِ ؟ » . قالتْ الزوجةُ في حرصٍ وهي تنتقي كلماتِها : « لم أعرِفْ . . إنه مجردُ استنتاج . . كلُّ ما أطلبُهُ هو أن تستمعَ إلى نصيحةِ حكيمِ الدولةِ ، حتى إذا جاءَ كلامُهُ مطابقا لكلامِ ذلك الرجلِ ! . . يمكنُكَ أن تفعلَ ما تشاءُ . . لكن تأكدْ في جميعِ الأحوالِ ، أننا جميعاً على استعدادٍ للتضحيةِ بحياتِنا ، في سبيلِ مصلحةِ المملكةِ .



مبكراً ، في صباحِ اليومِ التالي ، كان الملكُ يمتطي صهوةَ جوادِهِ ، ويمضي بأقصى سرعتهِ ، إلى حيثُ يعيشُ حكيمُ الدولةِ في المكانِ المنعزلِ ، عند شاطىءِ النهرِ المقدسِ .

عندما وصلَ الملكُ الى مكانِ الحكيمِ ، وجدَهُ يصلّي ، فنزل



عن ظهر حصانهِ ، وبقي في مكانِه يتنظرُ انتهاءَ الحكيمِ من صلاتِهِ الطويلةِ . ثم تقدَّمَ منهُ ، وسجدَ أمامَهُ ، وقبّلَ يد الحكيمِ . مدّ الحكيمُ يديهِ فأنهضَ الملكَ ، وأجلسَهُ إلى جوارِهِ وهو يقولُ : « أرى قلقاً عظيماً ينهَشُ قلبكَ ! . وألماً شديداً يُنغّصُ حياتَكَ ! . » .

حكى له الملكُ القصةَ كاملة ، من بدايتها حتى نهايتها . فنهضَ الحكيمُ وهو يردِّدُ : « أستغفرُ اللهَ العظيمَ . . أستغفرُ اللهَ العظيمَ ! . . » ، ثم مضى مرّة ثانيةً في صلاةٍ طويلةٍ ، والملكُ جامدٌ في مكانِهِ ، يتنفسُ بحرصٍ ، حتى لا يقطعَ على الحكيمِ الصلاةَ التي غَرِقَ فيها .

عندما انتهى الحكيمُ من صلاتِهِ ، ارتسمتْ على شفتيهِ ابتسامةٌ رائقةٌ عذبةٌ ، وقال للملكِ : « أبشرْ يا بنيَّ . . » سمعَ الملكُ هذه الكلمةَ تخرُجُ من بين شفتي الحكيمِ ، فانزاحَ عن صدرِهِ حملٌ ثقيلٌ ، وجلسَ صامتاً يستمعُ في شوقٍ الى كلماتِ

الحكيمِ ، الذي راحَ يقولُ : « لا تستمعْ إلى كلماتِ ذلك الشريرِ . . إليكَ يا بنيَّ تفسيرَ أحلامِكَ . . أما السمكتانِ الحمراوانِ ، فهما عقدانِ من الياقوتِ الأحمر الثمينِ ، يرسلُهما إليكَ ملكُ ( نهاوند ) . وأما الحيّةُ التي تسعى على ساقك ، فهوَ السيفُ الحديديُّ البراقُ الذي يهْديكَ إيّاه ملكُ بلادِ ( صنجين ) تعبيراً عن صداقتِهِ . . وأمّا ذلكَ الجبلُ الأبيضُ ، فهو يرمُز الى فيلةٍ أنثى يجيئُكَ بها رسولُ ملكِ بلادِ ( كيدور ) ، تصلحُ زوجةً لفيلكَ الحربيِّ ، وتحصلُ منهما على سلالةٍ كبيرةٍ من الفِيَلة البيض التي ستظهر لعينيك كالجبلِ » .

اندفعَ الملكُ يقبِّلُ يدي الحكيمِ ودموعُهُ تتساقَطُ غزيرةً من فرطِ الفرحِ ، فسحبَ الحكيمُ يدَهُ ، وراحَ يُربّتُ على رأسِ الملكِ وهو يقولُ : « إهدأْ يا بنيَّ ! . لا أريدُكَ أن تصدقَ كلامي حتى تتثبَّتَ منهُ . فأحلامُكَ كُلّها ستتحقَّقُ خلالَ هذا الأسبوعِ » .



صدقَ الحكيمُ في كلٍّ ما قالَهُ . . وتوالتْ وفودُ الرسلِ منَ الملوكِ ، يحملونَ الهدايا التي تكلَّم عنها . فجمعَ الملكُ زوجتَهُ وابنَهُ ووزيرَهُ ، وراحَ يعتذرُ لهم عما راودَهُ من شكٍّ فيهم ، فقال الوزيرُ : « الحمدُ للهِ أن انتصرتْ رجاحَةُ عقلِكُمْ وحكمتُكُمْ على هذهِ المكيدةِ التي دبَّرهَا البراهمةُ . . الذين وضعتهم في السجنِ انتظاراً لحكمِكَ عليهم » .

نظر الملكُ إلى زوجتِهِ في حبٍّ واعزازٍ وهو يقولُ : « الفضلُ الأول يعودُ إلى هذهِ الزوجةِ الوفيةِ المخلصةِ . . وهذا الوزيرِ الامينِ . . اللذاينِ استطاعا ، بفضلِ ، الرقَّةِ والحبِّ والإخلاصِ ، أن يُنقذاني من خطأ كاد أن يهدِم حياتي » .

وسادَ الحبُّ والسلامُ أنحاءَ المملكةِ بعد أن تمَّ القضاءُ على المتآمرينَ من البراهمةِ ، وبعد أن أصبحَ الملكُ أكثرَ حِكْمَةً وتبصُّراً ، فيما يتخذ من قرارات .




الفيل الجبار

**توثيق ألكتروني : أسعد علوان**


المؤسسة العربية للدراسات والنشر